يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ ماؤُها طَحِلٌ عَلى الجُذوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ وَالغَرَقَا [١]

وحقيقة الدلالة في اللغة تئول إلى ما تواضع عليه المتكلِّمون بها ، دونما نظر إلى تطوُّر يصيب هذه الدلالة ، أو تحوُّل بها عن طريقها المألوف إلى خلق جديد يكسبها حياة جديدة ، وقد سلك مفسرو بيت أبي الطيِّب :

قَلَّتا مِنَ الرِّيق ناقعَ الذَّوْبِ إلـ ـلا أنَّ بَرْدَ الأكْبادِ في جَمدِهْ

عدة مسالك ، وقالوا فيه غير قول ، فلم يزيدوا على تأكيد المحال بالمحال ، وإضافة الخطأ إلى الخطأ ، ما معنى جمد الريق ؟ وكيف يكون برد الأكباد في جامده دون ذائبه ؟ [٢]

وإغراقًا في مطابقة الدلالة للواقع ينتقد القاضي الجرجاني أبا الطيِّب في قوله :

ورحبَ صَدْرٍ لَوَ انَّ الأرْضَ واسِعَةٌ كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أهْلِهِ بَلَد

وحكم بفساد المعنى لأسباب تتصل بنشأة العمران وكثرة العمارة « لأنه جعل البلادَ تضيق بأهلها لضيق الأرض ، وأنها لو اتسعت اتساعَ صدره لم تضق البلاد . ونحن نعلم أن البلاد لم تخطَّط في الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها ، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة ، ولا تساع ما فيها من المدن أيضًا ، وهي على حالها ، وإنما تؤسس وتَبتدئ على قدر الحاجة إليها ، فإذا استمر بها الزمان وكثرت العمارة ، وظهر فيها ما يستدعي الناس إليها ضاقت ، فإن جاورتها فُسَحٌ وعِراصٌ وسّعت ، وإلا احتمل لها بعض الضيق ، فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك — لم

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص ١٠–١٢ . (٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .